مجلة الحكمة للدراسات والأبحاث المجلد 04 العدد 03 (17) 2024/06/30
ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

دور الانتجاع في حماية التوازن الايكولوجي للمراعي بالمغرب: حالة مراعي امغران بالسفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط

ذ. عزيز لبيهي
المدرسة العليا للتربية والتكوين جامعة ابن طفيل– القنيطرة
Aziz.labihi@uit.ac.ma

تاريخ الارسال: 2024/05/01 تاريخ القبول: 2024/06/08

الملخص:

شكلت المعارف والأعراف المحلية بالأرياف المغربية عموما، وعند العشائر التي تمارس نشاط الترحال والانتجاع بالمناطق الجبلية على الخصوص، منظومة قانونية فعالة، لدورها في الحفاظ على التوازنات الايكولوجية للنظم البيئية الرعوية وضمان استدامة موارد الرعي بهذه المناطق التي تتسم بالهشاشة البيئية. لقد استمرت هذه المنظومة لمئات السنين، في أداء دورها في المحافظة على التوازنات الايكولوجية للأراضي الرعوية بالمناطق الجبلية، رغم تراجع دورها في الوقت الحالي، حيث أصبحت أقل استعمالا نتيجة تأثرها بالتحولات البيئية والسوسي–اقتصادية العميقة التي عرفتها هذه المجالات في العقود الأخيرة.

من هذا المنطلق تطرح هذه الدراسة، مسألة التوازنات الايكولوجية بالمحميات الرعوية التقليدية التي أحدثها الأهالي بالمجالات الجبلية، وهي مسألة لها علاقة مباشرة بالتنمية المستدامة، حيث تتساءل الدراسة، لماذا الأنظمة الإنتاجية التي برهنت انها اقتصادية وفعالة في الحفاظ على التوازنات البيئية لقرون بالمجالات الرعوية الجبلية، أصبحت اليوم أقل استعمالا؟ وقد عملت الدراسة، على إبراز الدور الذي لعبته المنظومة القانونية العرفية في تدبير الأرضي الرعوية والحفاظ على توازنها الايكولوجي، عبر دراسة حالة نظام المحميات الايكولوجية العشائرية "نظام أكَدال"، عند قبائل امغران بالسفوح الجنوبية لجبال الأطلس الكبير الأوسط بالمغراب.

وقد انطلقت الدراسة من فرضيتين؛ الأولى هي أن النظام الرعوي القائم على التنقل بالماشية عند قبائل امغران، مثل تكيف تقني إيجابي مع الظروف البيئية ومع تنوع النظم الايكولوجية بالمجالات الرعوية التي

يستغلونها. أما الثانية؛ هي أن الدور الكبير الذي كانت تقوم به المنظومة القانونية العرفية لنظام الرعوي عند امغران في تحقيق توازن المحميات الرعوية التقليدية التي أحدثها الأهالي، قد أصبحت أقل استعمالا في الوقت الحالي نتيجة تأثرها بالتحولات السوسيو–اقتصادية الحديثة، وبالتغيرات المناخية وبالتطور التقني. كما اعتمدت الدراسة على مقاربة تأليفية متعددة المناهج، قوامها العمل الميداني من خلال القيام بزيارات لمعاينة المحميات الرعوية، وإجراء مقابلات مع ممثلي الأهالي ومع مختلق المتدخلين في تدبير المحميات الرعوية الاكدال.

الكلمات المفتاحية: المغرب – الانتجاع– الأراضي الرعوية — الاكدال – المحميات الرعوية – التنمية المستدامة – الموارد الطبيعي – التحولات الحديثة.

مقدمة:

تحتضن الأرياف المغربية معارف وقوانين عرفية وظفتها الوحدات البشرية المحلية لاستغلال المجالات المتسمة بمحدودية وندرة مواردها الطبيعية، فاستطاعت بذلك تدبير هذه المجالات واستغلال مواردها بطرق عقلانية محكمة، مكنت من استدامتها وتحقيق توازن نظمها الإيكولوجية، في تمثيل صريح لمفهوم التنمية والإدارة المستدامة التي تعد اليوم مدخلا أساسيا لتجاوز الإكراهات والمشاكل البيئية وتحقيق أهداف التنمية الشمولية.

في هذا السياق تعتبر المجموعات البشرية المنتمية لقبائل امغران المستقرة بالسفوح الجنوبية للأطلس الكبير الأوسط، نموذجا للوحدات البشرية التي تعتمد في انتاجها الفلاحي على تربية الماشية الواسعة بالانتجاع، كاستجابة تقنية للتكيف مع التباين المجالي والزمني للتساقطات بالجبال المغربية. وبفضل هذا النظام الإنتاجي تمكنت العشائر الرعوية التي تنتمي لـ امغران، من استغلال الموارد الطبيعية التي يوفرها المجال بشكل يراعي خصائص بيئتها الطبيعية ويحافظ على التوازن الايكولوجي للأراضي الرعوية الواسعة التي تستغلها، في إطار مشهد ثقافي/بيئي اصيل. لهذا، فإن ملامسة تجليات التدبير الجماعي للمحميات الرعوية التقليدية أو ما يسمى في الثقافة المحلية "إكَدلان"، في هذه الدراسة يعد ذا راهنية ويكتسي أهمية خاصة في ظل التحديات البيئية وسوسيو–اقتصادية التي تواجهها الأنظمة الإنتاجية الرعوية التقليدية بالجبال المغربية.

إن تزايد أثر الجفاف والتغيرات المناخية بالموازاة مع تنامي حدة التأثيرات المرتبطة بالتحولات الحديثة، قد أدى إلى تطور النزعة نحو الاستقرار لدى الوحدات البشرية الرعوية، وحدث انكسار في بنية نظام الترحال

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

الرعوي بالسفوح الجنوبية للأطلس الكبير الأوسط. وقد ترتب عن هذه التطورات حدوث تحولات قيمية ثقافية واجتماعية وقانونية واقتصادية مرتبطة بالنشاط الفلاحي- الرعوي. ونظرا للارتباط المباشر للنشاط الرعوي بالموارد المائية والنباتية، فإن مختلف تلك التطورات قد زادت من حساسية الأراضي الرعوية إزاء التصحر وفقدان التنوع الإحيائي. وهذا التطور التراجعي، أدى إلى إضعاف الإمكانيات الاحيائية لهذه الأراضي وتعطيل توازناتها الإيكولوجية والسوسيو-اقتصادية (عبد العالي البرغوط 2022 - عزيز لبيهي 2015).

إن تشخيصا دقيقا لهذا الواقع المجالي البيئي القيمي بكل مكوناته، ليستدعي مقاربة جديد، لحماية الأراضي الرعوية من تزايد حدة التصحر وفقدان التنوع البيولوجي وإدراك أهميتها السوسيو-اقتصادية والبيئية في ضوء التحولات الحالية والمستقبلية. ولعل ما نقترحه في هذا السياق، هدفه تحقيق استدامة الموارد الطبيعية والتوازنات الايكولوجية والإنتاجية الرعوية للأراضي بالجبال المغربية.

أولا: الإطار النظري والمنهجي للدراسة:

1 – المجال الجغرافي للدراسة:

تنتمي منطقة الدراسة إداريا لإقليم ورزازات ضمن جهة درعة تفلالت، اما ضمن الحدود الطبيعية، فهي تعتبر جزءا من حوض درعة الأعلى الذي ينحصر بين الاطلس الكبير الأوسط والاطلس الصغير الشرقي من الجنوب، وبين المناخ المتوسطي في الشمال والمناخ الجاف القاحل في الجنوب. هذا الوضع الطبوغرافي والمناخي له تأثير كبير على الموائل البيئية بمجال الدراسة التي تخضع في مجملها للظروف البيئية الجافة، المتسمة بقلة التساقطات وعدم انتظامها وارتفاع درجة الحرارة، بالإضافة الى شدة التدرية والتبخر وضعف الحصيلة المائية. كل هذه الاليات، لها انعكاس على مستوى إيقاع الحياة النباتية وتجددها وعلى التوازنات البيئية، مما يجعل من مجال امغران مهدد دائما بفقدان التنوع البيولوجي (Hamza Ait Mohamed, 2002 P :2).

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

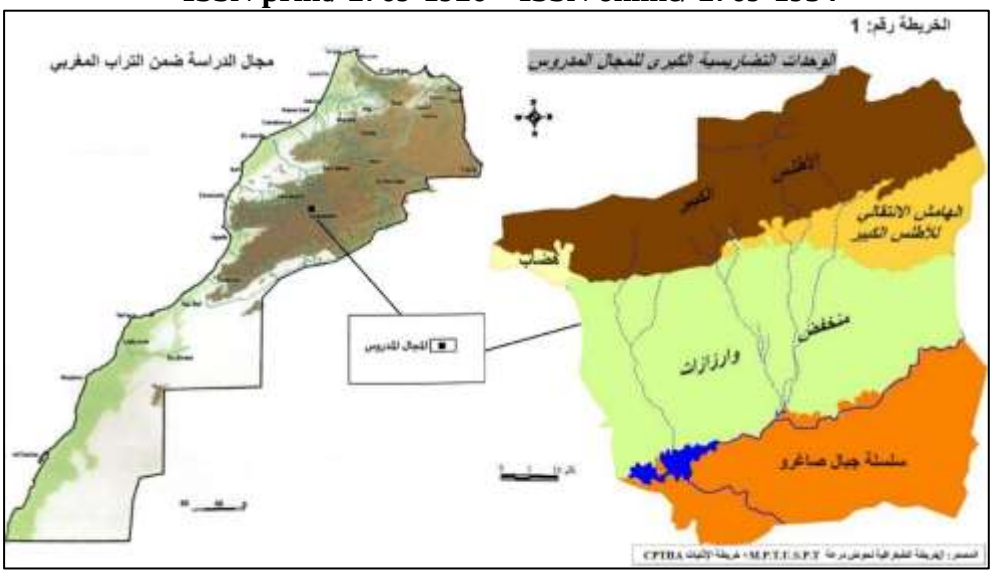

2- إشكالية الدراسة:

تعالج الدراسة مسألة التوازنات الايكولوجية بالمحميات الرعوية التقليدية التي أحدثها الأهالي المنتمون لقبائل إمغران من أجل تنظيم استغلال الأراضي الرعوية. لقد عمل الأهالي على تنظيم استغلال هذه الأراضي المتميزة بتوازناتها البيئية الشديدة الحساسية في نشاط تربية الماشية المتنقلة بشكل يطبعه الاختلاف والتنوع منذ مئات السنين من خلال الاعتماد على نظام المحميات التقليدية. وقد ترتب عن ذلك بناء منظومة إنتاجية فعالة استطاعت الصمود والاستمرارية إلى يومنا هذا رغم الديناميات الطبيعية والسوسيو-اقتصادية السريعة التي تعرفها المناطق الجبلية خلال العقود الأخيرة، والتي ترتب عنها تراجع وتلاشي مجموعة من الأنظمة الإنتاج الرعوية، في العديد من المناطق المشابهة، لاسيما استخدام نظام المحميات الرعوية التقليدية (الاكدال). من هنا نطرح التساؤل الإشكالي التالي، لماذا تعد الأنظمة الإنتاجية الرعوية، التي أثبتت اقتصادها وفعاليتها في الحفاظ على التوازنات الايكولوجية للأراضي الرعوية لقرون، اليوم أقل استعمالا؟

هذا التساؤل الإشكالي العام نفصله إلى تساؤلات إجرائية للبحث فيما يلي:

- ما هي خصائص المحميات الرعوية التقليدية بمنطقة امغران؟
- ما هي أوجه الممارسة العرفية التقليدية المرتبطة بالمحميات الرعوية التقليدية -إكَدلان- ودورها في تحقيق التوازنات الإيكولوجية للأراضي الرعوية عند قبائل أمغران؟

- كيف استطاعت المحميات الرعوية التقليدية-إكَدلان- أن تستمر في أداء أدوارها، لاسيما الدور البيئي رغم التحديات والإكراهات التي تواجهها في الوقت الحالي؟

3- أهداف الدراسة:

تتوخى الدراسة تحقيق هدف عام وهو إبراز الدور الذي لعبته المنظومة القانونية العرفية في تدبير الأرضي الرعوية والحفاظ على توازنها الإيكولوجي، باعتماد نظام المحميات الإيكولوجية العشائرية "نظام إكَدلان" ترتبط بالهدف العام للدراسة مجموعة من الأهداف الجزئية نقدمها فيما يلي:

- التعريف بالموروث الثقافي البيئي غير المادي الذي تزخر به المناطق الجبلية المغربية، خاصة الموروث الرعوي المرتبط بنظام الانتجاع بمنطقة امغران.
- إبراز أهمية وقدرة المعارف والدرايات المحلية التقليدية في الحفاظ على الموارد الطبيعية، وضمان تحقيق التوازن الايكولوجي للأراضي بالأوساط البيئية الجبلية الهشة.
- المساهمة في إعادة الاعتبار للتدبير الجماعي التقليدي للموارد الطبيعية وخلق آفاق وفرص لتثمينه وجعله قابل للاستثمار في المقاربات المجالية الحديثة التي تروم الحفاظ على التوازنات الإيكولوجية للأراضي الرعوية وتحقيق تنمية مستدامة بها.

4- فرضيات الدراسة:

انطلقت الدراسة لتحقيق هدفها العام وأهدافها الجزئية من فرضيتين:

- **الفرضية الأولى:** يمثل النظام الرعوي القائم على التنقل بالماشية عند قبائل امغران، تكيفا تقنيا إيجابيا مع الظروف البيئية الشحيحة ومع تنوع النظم الايكولوجية بالمجالات الرعوية التي يستغلونها.
- **الفرضية الثانية:** كان للمنظومة القانونية العرفية التي يوم عليها النظام الرعوي عند عشائر امغران، دورا كبيرا في تحقيق توازن المحميات الرعوية التقليدية التي أحدثها الأهالي، لكن في الوقت الحالي أصبحت أقل استعمالا نتيجة تأثرها بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية الحديثة، وبالتغيرات المناخية وبالتطور التقني.

5- منهجية البحث وأدواته:

اعتمد البحث على منهجية عمل متكاملة تقوم على مبدأ الربط بين موضوع البحث وأسئلته وفرضياته ومصادر جمع المعلومات، وتجدر الإشارة إلى أن هذه المقاربة ليست بعملية يتم اتباعها بشكل خطي، بل تتم في شكل دوائر لتحقيق نتائج معرفة ومنهجية حول موضوع وإشكالية البحث.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

اعتمد البحث بشكل أساسي على المنهج الكيفي، وهذ لا يعني عدم الاعتماد على المنهج الكمي، فالحاجة إلى المعطيات الكمية حول حجم المساحة الرعوية وعدد الأنواع والأصناف الإحيائية، وحجم الموارد والإنتاج في مجال الدراسة تفرض أن تستمد نتائجها من المنهج الكمي.

وبالنظر الى أهمية المعطيات التي يتطلبها البحث، فقد تم الاستناد على المنهج التوثيقي، بالاعتماد على تقارير ودراسات أنجزت بمنطقة الدراسة في إطار مشروع حماية التنوع البيولوجي باعتماد الترحال*. هذا بالإضافة الاستناد إلى نتائج دراسات سابقة للباحث ولباحثين آخرين حول موضوع الرعي المتنقل وتدبير الموارد الطبيعية، في مقدمتها الدراسة المنجزة حول موضوع "تطور نظام الترحال بدرعه الأوسط جنوب المغرب"، انجزها الباحث لنيل شهادة الدكتوراة في الجغرافيا، نوقشت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء – المغرب سنة 2015.

كان لاعتماد المنهجية النوعية هدف أساسي، هو الوصول إلى معلومات تمكن من تعميق المعارف عن حالات نقدمها في هذا البحث كنماذج بغية الاقتراب من الوضعيات داخل المجال بشكل يمكن من طرح تأويلات انطلاقا من عملية الوصف. وقد اعتمدت الدراسة لاستخراج المعطيات النوعية على أخذ عينات مجالية متفاوتة بمنطقة الدراسة، واستنادا إلى هذه المنهجية، تم تحديد العينة المكانية عن طريق اختيار وحدة مجالية كبرى هي مجال الدراسة، ثم داخل هذه الوحدة الكبرى تم تحديد وحدات مجالية صغرى تمكننا من إبراز السياقات المجالية والبيئية المتباينة ضمن المجال الذي تمتد عليه قبائل امغران.

لتحليل ومناقشة نتائج البحث، يجب التذكير بأن الدراسة استندت على المعطيات الإحصائية التي تخص عدد الأنواع والأصناف الإحيائية والمساحة وغيرها. وهنا يجب التنبيه، بأن الهدف والغرض هنا ليس هو تقديم معطيات إحصائية حديثة ومضبوطة، بل يجب التعامل مع هذه المعطيات على أنها غير ثابتة، لاعتبارين أساسيين:

* انطلق مشروع الترحال والتنوع البيولوجي منذ سنة 2001 واستمر به الى سنة 2011، تحث اشراف وزارة الفلاحة والصيد البحري بشراكة مع برنامج الأمم المتحدة للتنمية، وصندوق البيئة العالم، وبتنسيق مع شركاء اخرون محليا ووطنيا. اتى هذا المشروع في إطار انخراط المغرب والتزامه بالعمل على حماية المحيط الحيوي وضمان استدامة التوازنات البيئية. تمتد المنطقة التي شملها مشروع الترحال والتنوع البيولوجي بالسفح الجنوبي للأطلس الكبير وجبل صاغروا على مساحة تقدر بحوالي 1 مليون هكتار موزعة على 13 جماعة قروية 3 جماعات حضرية تنتمي لإقليم ورزازات وتنغير وزكورة، بينما الوحدات البشرية القبلية المعنية بالمشروع فهي قبائل مكون، ايت سدرات وامغران وايت عطا.

- أولا أن إحصاء الأنواع والأصناف الإحيائية على المساحة الواسعة جدا التي يمتد عليها مجال الدراسة، يتطلب إمكانيات منهجية وتقنية ومادية وزمنية كبيرة، وبالتالي لا يمكن إنجازه عبر دورات زمنية قصيرة.
- ثانيا أن الموقع الجغرافي يجعل منطقة الدراسة متأثرة جدا بالتقلبات المناخية لوجودها على هامش الصحراء الكبرى، كما أنها معرضة لتأثير عوامل الانفتاح المعولم وتبعاته. وقد تعرضت منطقة الدراسة في العقود الأخيرة، بالفعل لنوبات جفاف حادة ومتكررة، ولحركة هجرة واسعة ولتحول تقني كبير، ونحن نعلم بأن المعطيات المتعلقة بالعناصر الإيكولوجية والاقتصادية ومنها الى ما هو اجتماعي وثقافي هي شديدة التأثر بهذه العوامل بالنظر لحساسيتها وهشاشتها.

ثانيا: نتائج الدراسة:

1 – يشكل الرعي بالانتجاع استجابة للتباينات الطبيعية بالسفوح الجنوبية للأطلس الكبير:

تلعب البيئة الطبيعية دورا هاما في التأثير على الأنظمة الإنتاجية والأنشطة المرتبطة بها بالمجالات الريفية المغربية، وما يترتب على هذه الخاصية مرتبط بمدى قدرة الإنسان على التحكم في عوامل البيئة الطبيعية أو التكيف معها. ومن هذا المنطلق نلاحظ بأن قوة وأهمية العوامل الطبيعية في التأثير على أنظمة الإنتاج الريفية تتضاعف بالمناطق الجبلية، حيث يعيش الإنسان في صراع دائم من أجل البقاء ضد عوامل طبيعية قاسية وظروف بيئية شحيحة.

يرتبط ظهور الواحات أساسا في مجال السفح الجنوبي للأطلس الكبير عموما، بالعيون المتفجرة أو الأودية الجارية، النابعة من المرتفعات الجبلية للأطلس الكبير (Ait HAMZA,M. 2002)، وقد نجح الإنسان المستقر بواحات هذه المناطق في بناء حضارة هيدروغرافية متكيفة، عبر استغلال الأشرطة الرسوبية الغرينية الممتدة على ضفاف الأودية التي مصدرها مرتفعات الأطلس وهي (دادس– مكون– درعة– حجاج– إمين واسيف ...)، ليؤسس نمط عيش ونظام إنتاج قائم على ممارسة الزراعة.

إلى جانب تطور النظام الإنتاجي الزراعي بالواحات، نجد وحدات بشرية أخرى بالسفوح الجنوبية للأطلس الكبير، عملت منذ قرون على خلق حضارة رعوية متأقلمة ومتلائمة مع تباين الظروف البيئية التي تطبع السلاسل الجبلية بهذه المناطق (الملكي المالكي، 1995، ص:99). باستغلال المؤهلات الطبيعية التي تتوفر عليها المجالات الجبلية بالسفوح الجنوبية للأطلس الكبير، المتمثلة بشكل أساسي في التنوع الإحيائي النباتي، بحيث تحوي هذه المناطق على حوالي 50% من الفقاريات الزاحفة و164 صنف من النباتات

المستوطنة بالمغرب (Ait Hamza Mohamed, 2002 P :2)، لتساهم بدورها في قيام نظام إنتاجي رعوي، قائم بالأساس على تربية الماشية بالانتجاع.

وهكذا، يقدم المجال الجغرافي للسفوح الجنوبية للأطلس الكبير الذي يشكل مجال امغران جزء منه، مشاهد تظهر ملامحها المجالية، مدى استيعاب الإنسان للوضع البيئي الاستثنائي الذي يميز هذه المجالات، والتكيف معها من خلال بناء أنماط عيش متأقلمة، يحتل فيها التدبير الجماعي التوافقي الذي تسهر على تطبيقه مؤسسات تقليدية على رأسها مؤسسة "اجماعة". وقد مكن هذا النظام الوحدات البشرية من استغلال الموارد المتاحة بنوع من الاستدامة عبر تطبيق الأعراف المتعاقد عليها داخل القبيلة.

2- امغران وحدة قبلية في السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط

2-1- الموقع على هامش الصحراء له تأثير على حجم وتوزيع الموارد الرعوية

يمثل مجال امغران جزء من المناطق المشكلة لمقدمة الصحراء بامتياز، فهو يمتد بين المجالات الوطنية الواقعة على تخوم الصحراء في الجنوب وبين مرتفعات الأطلس الكبير في الشمال، بالتالي فهو يعد منطقة انتقالية لها نوعين من الحدود تتداخل أبعادها وتختلف مؤثراتها على تنظيم المجال واستغلال الموارد الطبيعية.

2-1-1- حدود تاريخية وترابية مؤثرة في تقسيم المجال بين الوحدات البشرية لـ امغران

تعتبر الوحدة القبلية امغران من أكبر الوحدات البشرية التي تستوطن السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الكبير الأوسط الى جانب وحدات قبلية أخرى وهي، إمكون، أيت سدرات، أيت عطا. وتتشكل هذه الوحدة من ثمنية إثنيات قبلية وهي (أيت تندوت- ايت ويتفاو- أيت أكرور- إكرنان- أيت زغار- أيت عفان- إكنتولن- ايت زكري)، وقد استقرت هذه الوحدات بالسفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط خلال فترات تاريخية مختلفة، ما جعل مجالها الجغرافي، يمتد من منبع تساوت عند مرتفعات الاطلس الكبير في الشمال إلى السفوح الشمالية لسلسة الاطلس الصغير "صاغروا" في الجنوب. وتتكون أراضيها من قسمين:

- قسم شمالي تستوطنه وتستقر به الوحدات البشرية المشكلة للوحدة القبلية امغران وهو مجال يمتد على السفوح الجنوبية للأطلس الكبير الأوسط.
- قسم جنوبي تعود ملكيته للوحدات البشرية المنتمية لـ امغران، يمتد على منخض وارزازات والسفوح الشمالية لسلسة جبال صاغروا (Gary Gregg et Alison Geist , 1989 p 3). تستغله مربو الماشية في نشاطها الرعوي خاصة خلال فصل الشتاء.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

تنحدر الأصول التاريخية للوحدات البشرية المكونة لقبائل امغران، من المجموعة الكبرى المشكلة لقبيلة هسكورة، حيث يشكلون امتدادا لها نحوي الجنوب بالسفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط (أحمد هوزالي: "هسكورة" معلمة المغرب الجزء 23 ص7510). أما قبائل هسكورة، فهي تنحدر من أصول صنهاجية صحراوية، كانت تعتمد الترحال وانتقلت إلى الدير الأطلسي عبر تاريخ طويل، لم تعرف الاستقرار وتعاطي الزراعة إلا بعد إدخال أغراس اللوز الى الأطلس الكبير الأوسط خلال الحكم السعدي خلال القرن السادس عشر (محمد أجامع معلمة المغرب الجزء الثالث ص771-772).

بهذا المجال الواسع يمارس أهالي امغران نشاط الرعي القائم على الانتجاع بين جبل صاغروا والأطلس الكبير، ويستغلون في إطار تنقلاتهم المجالات الواحية الممتدة على اباط الجبال كنقط عبور للتنقل بين مراعي الصيف بمرتفعات الأطلس الكبير في الشمال ومراعي الشتاء في المنخفضات الجنوبية وسفوح سلسلة صاغرو في الجنوب. وقد تأثرت هذه العلاقة التبادلية بعدة عوامل، خلال مراحل تاريخية لاحقة، خاصة بعد أن عمل السلطان المولى إسماعيل، لأبعاد سياسية وإستراتيجية، على توطين وحدات بشرية أخرى تنتمي إلى عرب تافيلات المعقيليين بالأراضي السهلية لمنخفض وارزازات وهي أراضي تابعة لمجال امغران.

ومع خضوع المنطقة للاستعمار خلال مطلع القرن 20م، عملت السلطات الاستعمارية الفرنسية لأبعاد سياسية وأمنية، على اقتطاع فخدة "أيت زكري" التي كانت تابعة لإغيل مكون دادس وضمتها للوحدة القبلية امغران بهدف إخضاع ومراقبتها. ونتيجة لذلك تغير الامتداد المجالي لـ امغران، فتوسعت حدودها نحو الشرق والجنوب، بحكم الامتداد المجالي لأيت زكري، كما تغيرت خريطة مكوناتها الإثنية بشكل يجعلها تحت السيطرة المخزنية، فأصبحت بنية مكوناتها القبلية على الشكل التالي:

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

التقسيم الحالي للأخماس المشكلة لقبيلة مغران

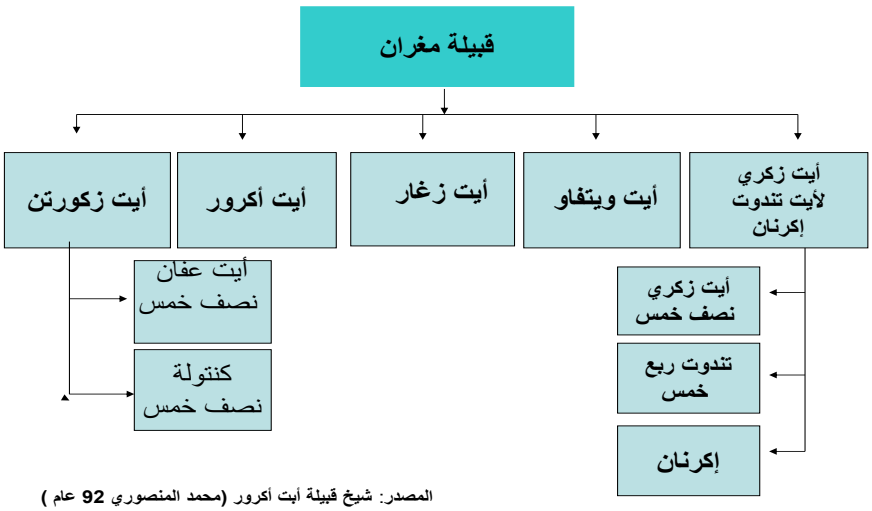

المصدر: شيخ قبيلة أيت أكرور (محمد المنصوري 92 عام)

2-1-2- حدود طبيعية لها تأثير واضح على حصيلة الموارد واشكال استعمال الاراضي

يمتد المجال الجغرافي لـ امغران على مساحة شاسعة ومهمة تقدر بـ 1674 كلم مربع، وهذا الامتداد الواسع يجعل لمنطقة امغران حدودا طبيعية تضاريسية ومناخية استثنائية، فالبنية المجالية لـ امغران تنتظم حول الجانب الجنوبي لجبال الأطلس الكبير الأوسط في الشمال إلى سلسلة الأطلس الصغير في الجنوب، متخذة اتجاها طوليا يتقاطع مع ثلاث وحدات تضاريسية كبرى تنتمي لمجموعات بنيوية مختلفة. هذا الاختلاف الذي يطبع البنية التضاريسية شكلا وأبعادا بين المناخ المتوسطي في الشمال والمناخ الجاف في الجنوب، يمنح مجال امغران خصوصية بيومناخية متميزة.

- تحد مجال امغران في الشمال مرتفعات جبال الأطلس الكبير التي تبلغ ارتفاعاتها ما بين 1700م و4000م وتتميز ببنية جيولوجية التوائية يطبعها التقطع الشديد بفعل كثافة الشبكة المائية، إضافة إلى سيادة المناخ القاري الذي يتميز بانخفاض درجة الحرارة إلى ما دون الصفر، مع سقوط الثلوج خلال فصل الشتاء.
- تحد مجال امغران من الجنوب سلسلة الأطلس الصغير ذات اتجاه جنوب غرب شمال شرق، تشكلها كتلة جبل صاغروا التي ترجع بنيتها الجيولوجية إلى ما قبل الكمبري، بارتفاعات تصل إلى 2710م.
- تتوسط الوحدة الجبلية للأطلس الكبير والأطلس الصغير هضاب ومتون منخفض وارزازات، الذي يصل طوله الى 160كلم، بينما عرضه يتباين بين الشرق والغرب، ويتقلص أحيانا إلى ما دون 10كلم (عبد

الرحمان أجامع،2007 ص 17). يتميز هذا الجزء بوجود وحدات هضبية متباينة من حيث الارتفاع والامتداد، تفصل بينها أودية ذات قعور شاسعة أو منخفضات.

يشكل انتصاب الأطلس الكبير شمال مجال امغران حاجزا أمام التأثيرات البحرية الرطبة القادمة من الشمال الغربي، والغرب، كما أن انتصاب الأطلس الصغير (جبل صاغروا) في الجنوب، باتجاه من الغرب نحو الشرق يقف حاجزا أمام المؤثرات الصحراوية الجافة. هذا المعطى ساهم في ظهور تعارض واضح في المجال بين جهة شمالية رطبة نسبيا، تعرف نزول الثلوج خلال فصل الشتاء ووجهة جنوبية جافة تعرف جفافا حادا في الصيف. كما يطرح هذا الوضع تدرجا في كميات التساقطات ودرجات الحرارة من القدم نحو القمة، ونوجز هذا التباين فيما يلي:

- ضعف التساقطات المطرية وتبايناها مجاليا وسنويا، بحيث أن 80% من مساحة مجال مغران تتساقط بها أقل من 250 ملم في السنة، مع طول فترة الجفاف من 4 إلى 6 أشهر، فتنتقل من 600 ملم في السنة عند قمم الأطلس الكبير إلى أقل من 150 ملم بورزازات وسكورة، لتنخفض إلى أقل من100 ملم بمحطة أكدز في الجنوب (عزيز لبيهي 2009 صص 60-67).
- وجود تباينات حرارية كبيرة، حيث يتجاوز معدل الحرارة القصوة في الأجزاء الجنوبية 40 درجة خلال فصل الصيف. ويصل معدل الحرارة الدنيا خلال فصل الشتاء إلى 0 درجة بالقمم الجبلية التي يتعدى ارتفاعها أكثر من 2500م، مما يجعل الموائل البيئية تخضع في مجملها للظروف البيئية الجافة التي لها انعكاسات على مستوى الحياة النباتية كما هو مبين في الخريطة (رقم 2) (عزيز لبيهي 2009 صص 60-54).

لقد أدى التباين في الخصاص المناخية، إلى اختلاف في توزيع الموارد المائية والغطاء النباتي والتشكيلات النباتية ومستوياتها، ومن تم في أشكال وإستراتيجية استغلال هذه الموارد. وتبقى للظروف المناخية آثار واضحة على حصيلة الموارد الرعوية، التي تتميز بالتباين بين أجزاء المجال من الشمال الى الجنوب وبين السنة والأخرى ومن فصل لآخر، حيث يشكل فصلي الصيف والخريف المرحلة الصعبة في تغذية القطيع، كما يشكل فصل الشتاء مرحلة صعبة بالمناطق الجبلية.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

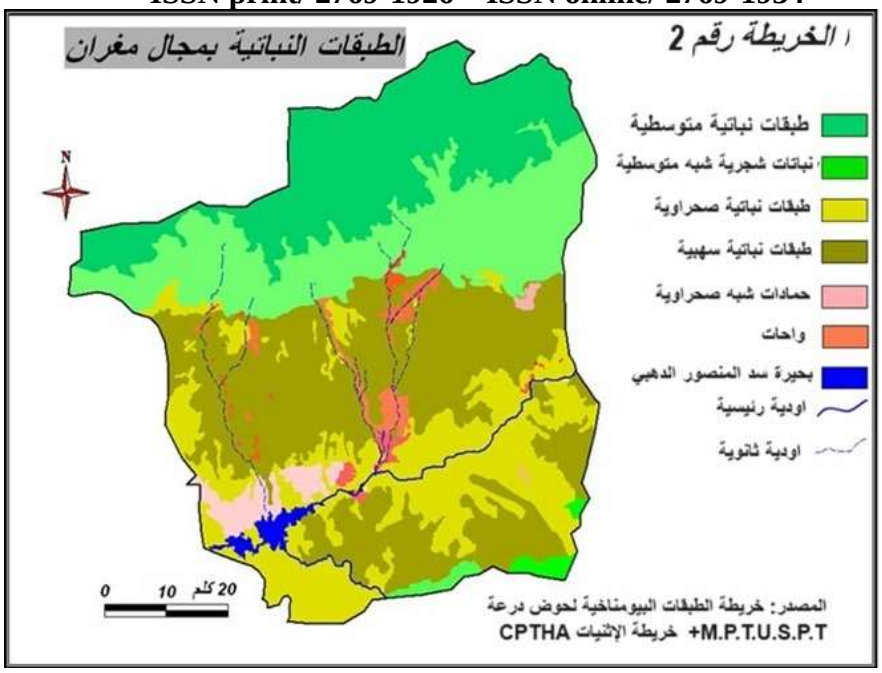

3- الموائل البيئية وقاعدة التكامل الإيكولوجي الرعوي

3-1- الموارد الرعوية وخاصية التكامل الإيكولوجي

يتميز الغطاء النباتي للأراضي بانخفاض كبير في الانتعاش وباختلاف واضح من حيث الكثافة ونسبة التغطية، واستنادا إلى ذلك نميز في مجال امغران بين الجبال العالية التي تصل نسبة التغطية فيها ما بين 20% و 40%، تم السهول والمنخفضات التي تتوسط منطقة امغران ومرتفعات جبال صاغرو في الجنوب التي تصل نسبة التغطية فيها ما بين 5% الى 10% . أما من حيث قيمة الإنتاجية الرعوية وأساليب استغلال الموارد الرعوية، فنميز في مجال امغران بين خمس مستويات:

- **مراعي صاغروا في الجنوب:** تمتد على مساحة 640 74 هكتار، بارتفاعات تتراوح ما بين 1200 متر إلى 1800 متر. ولهذه المنطقة أهمية من حيث الموارد الرعوية، تتجلى في المساهمة القوية للنباتات الصغيرة مثل (*Ononis natrix, Eryngium sp*,....)، رغم وجود نباتات أخرى ليست محل تقدير الحيوانات على مدار السنة، مثل (*Zilla macroptera* et *Convolvulus trabutianus*)، وهي أنواع منخفضة القيمة الرعوية.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

- **مراعي سهول وهضاب منخفض وارزازات:** تمتد على مساحة 78145.6 هكتار بارتفاعات تتراوح ما بين 1500 متر الى 2200متر، وتنتشر بهذا المجال الطبقات النباتية من نوع scoparia وFarsetia hamiltonii- phytomass التي توفر قيمة إنتاجية مهمة جدا. لكن وبسبب الضغوط القوية المرتبطة بـ (استقرار الرحل – انتشار الزراعة- واقتلاع الأشجار)، التي تتعرض لها المراعي الممتدة في المنخفض وهي (إميل- تماسينين- أمرد ول نواساي- تماسينت- أمين نوازي- طليل- تمريخت-تماسينت- أخفني إغيل مون- بولكو- امان نوسكتان- تفراوت)، فقد انخفضت الكمية الإنتاجية للمراعي بهذا المجال، حيث أصبحت لا يتعدى (200-260 كغ / هكتار)، بالإضافة إلى ظهور أنواع نباتية غير مرغوب فيها من قبل الحيوانات مثل: (Hertia maroccana، Nepeta أطلانتيكا، fructicosus Carthamus...).
- **مراعي مرتفعات جبال الأطلس الكبير:** تمتد على مساحة 83905.6 هكتار، وتوفر قيمة رعوية كبيرة نسبيا بكمية إنتاجية تقدر ب 700 كجم / هكتار في المرتفعات القريبة التي يسهل الوصول إليها وأكثر من (3000 كجم / هكتار) في المواقع التي يتجاوز رتفاعها 3000 متر. وتتعرض المراعي الجبلية لضغط قوي، حيث لوحظ في العقود الأخيرة حدوث تراجع كبير للأنواع النباتية الآلوسن والأرطماسيا ألبا spinosum- phytomass، لأن هذه الأنواع تستخدم بشكل كبير في إنتاج الخشب، وتضم مراعي الجبال العالية (فضغاط- تزكي –تفرضبن- تلاط نواضوا-امولیل- إمين اقديم – تغيا- اماسين- أزيف- إمكوسن- تماسين—تليط- امردول نواسي- أزغار نيكر-تندوت- تورضا-ولكو-مليمي- اسن- اكرنومدا – تيزي نوالاون- اكر تيغيل-إدمامن- إشباكن- تفركويت- تمردولت- تلميت- ازفزة- أمازيز نتازول- إمليل- أمردول – طليلت- تمريخت- أزغار نيكر- أكليم- تكتيم-اكليم- ازغارنيكر- أوجكال- اسلتا-ألتاغ (مشتركة بين مكون- ايت زكري).

بحكم هذه الوضعية السائدة في جل مجال امغران، ينتشر الرعي المتنقل على نطاق واسع، وهو نشاط انتاجي قائم على الانتجاع، وقد شيدت الوحدات البشرية المنتمية لقبائل امغران نمط عيشها على هذا النظام الذي يعتمده على تنقلات رعوية موسمية صاعدة نحو الشمال خلال فصل الصيف وتنقلات هابطة نحو الجنوب خلال فصل الشتاء.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

3-2- توزيع مجالي يبرز التباين في أشكال استخدام الأرض عند قبائل امغران

يمتد مجال امغران على مساحة تقدر ب 341447 هكتار، تمثل فيها الأراضي القاحلة الضعيفة الإنتاجية حوالي 67% من المساحة الإجمالية لـ امغران. تمثل فيها الأراضي الرعوية نسبة 97% بمساحة تغطي 332685 هكتار، إضافة الى 1425 هكتار تغطيها الغابات، بينما لا تمثل الأراضي الزراعية سوى 3% بمساحة تبلغ 7337هكتار، وهذا ما يبين محدودية الأنشطة الزراعية. تقسيم هذه الأراضي بين الوحدات البشرية المكونة لقبائل امغران، يعرف تباين واضحا كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول 1: توزيع الأراضي حسب الإتنيات القبلية بمجال مغران بالهكتار

الجماعات الترابية / أنواع الأراضي	إغيل مكون (أيت زكري)	أمي نولاون (كنتولة، ايت عفان، ايت زغار)	تندوت (ايت تندوت، ايت ويثفاو)	غسات (ايت اكرور، إكرنان
الأراضي المسقية	1065	1655	2820	1797
الأراضي البورية	-	-	-	-
الأراضي الرعوي	119860	80045	55130	77650
الأراضي الغابوية	525	300	50	550

المصدر: المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي وارزازات

ينعكس التوزيع المتباين للأراضي بين الوحدات البشرية المشكلة لقبيلة امغران على أشكال استخدام الأراضي، فعندما نربط واقع التقسيم المجال بين الإثنيات المشكلة للوحدة القبلية امغران ونشاط الرعي القائم على الانتجاع، نجد بان هناك تفاوت في الإمكانيات والمؤهلات التي يتيحها المجال بين الوحدات البشرية لـ امغران، وقد ترتب على هذه الوضعية اختلاف في الوصول الى الموارد الرعوية والزراعية التي تتسم بمحدوديتها نظرا لضيق المجال لدى بعض الوحدات البشرية منها (تندوت- أيت زغار- ايت عفان)، في المقابل فهي تتميز بوفرتها لاتساع المجال لدى الوحدات البشرية الأخرى منها (أيت زكري – ويتفاو- ايت أكرور).

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

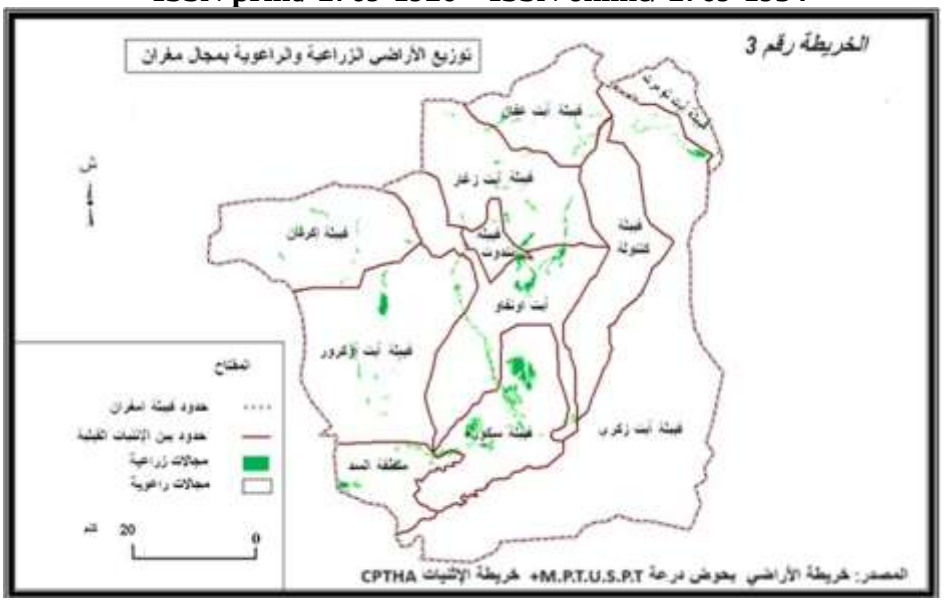

هذا الفارق الكبير في المساحة بين المجالات الزراعية والرعوية الذي فرضته الظروف البيئية الشحيحة المميزة لمجال امغران، قد جعل من نشاط الرعي بالانتجاع لدى الوحدات البشرية لـ امغران خيار استراتيجي للتمكن من استغلال المؤهلات والموارد التي تتحها المجالات الواسعة في ظل عدم إمكانية قيام نشاط زراعي واسع بحكم ضيق مساحة الأراضي الزراعية.

3-3- استعمال الأراضي الرعوية وتبادل حقوق الرعي عند امغران

يقوم نظام الانتجاع واستغلال المراعي عند امغران على أساس دورة رعوية موسمية بين فصل الشتاء وفصل الصيف، تعتمد على أربع حركات تنقل رعوية خلال السنة الفلاحية، بين المراعي الموجودة في المنخفضات والسفوح الشمالية لسلسة صاغرو في الشتاء، والمراعي الموجودة على سفوح الأطلس الكبير الأوسط خلال فصل الصيف.

نوضح هذه الوضعية من خلال اتجاهات حركة التنقل الرعوية الموسمية التي يقوم بها مربي الماشية بمنطقة امغران، كما هو مبين في الخريطة (رقم 4). يستعملون مراعي مرتفعات الأطلس الكبير الأوسط، خلال الصيف من يونيو إلى شتنبر، فيستغلون مراعي " تكنوستي" بالنسبة لأيت عفان، ومراعي "تركديت وأكليم" بالنسبة لكنتولة وايت زغار، ومراعي "أكليم- تكتيم- مرات- أوجكال-أسلتا" بالنسبة لايت تومرت وايت زكري، ثم مراعي " فضغاط- تزكي- تفرضين" بالنسبة لإكرنان.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

وتستغل موسميا في فترتين من السنة من بداية مارس إلى ماي قبل فتح المراعي الصيفية التي يعتمد استغلالها على نظام اكذال، مراعي (أزغار نيكر- ألتاغ- إدمامن- تمريخت- تماسنين). وفي الفترة الممتدة من أكتوبر إلى نونبر قبل النزول إلى المراعي السهلية والهضبية مراعي (إميل- إمي نوازي - امردول نواسي- طليل- أخفني إغيل مون- بولكو-امان نوسكتان- تفراوت). أما المراعي الممتدة على السفوح الشمالية لجبال صاغروا فيتم استغلالها خلال فصل الشتاء ما بين دجنبر إلى مارس.

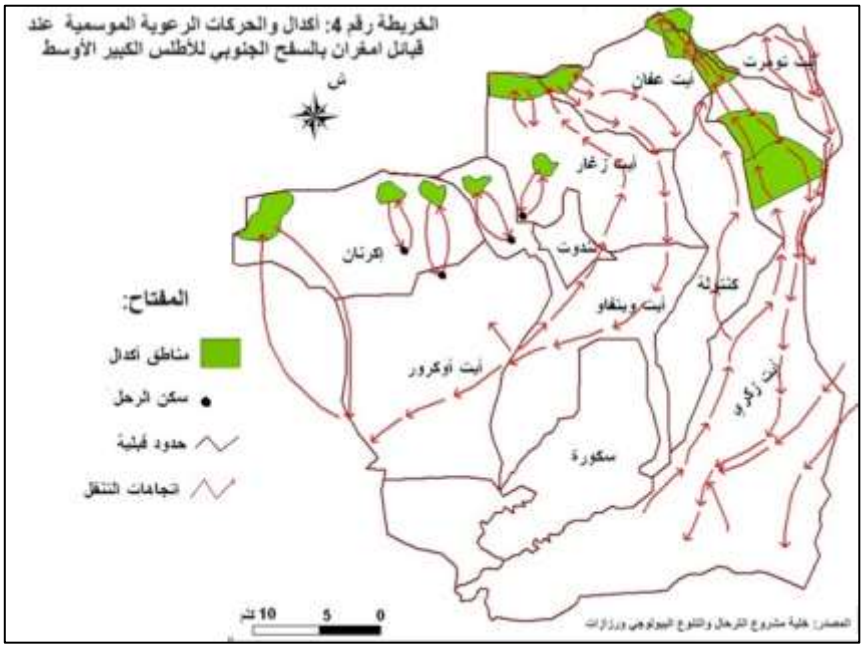

يقوم مربو الماشية بحركات التنقل الرعوي بناء على أسس تنظيمية زمنية ومجالية، تكفل لكل الرعاة حق الولوج بقطعانهم للمراعي، خلال فترة زمنية محدودة بحسب ما يتوفر عليه المرعى من موارد، وحسب حقوق الرعي المتفاوض عليها من طرف الأهالي المنتمون إلى نفس الوحدة البشرية، أو المتفاوض عليها ما بين الوحدات البشرية التي تتقاسم حقوق الرعي بنفس المرعي.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

الجدول رقم 2: خصائص استعمال المراعي عند قبائل مغران

المراعي	النباتات الموسمية	المساحة ب هـ	فترة الاستعمال
صاغروا- إمليل- إمي نوازي- أمردول نواسي- طليل- أخفني- إغيل نون – بلكو- أمان نوسكتان- تفراوت-	Armoise, *Hammada scoparia*, *Covolvulus trabutianus* Annuelles, herbacées non graminoïdes	97850	فصل الشتاء
تماسينين- ألتاغ- إدمامن- تمر يخت- تلاط نواضوا- اماسين – أزغار نيكر	Alfa, Armoise **Armoises**	12760	فصل الخريف فصل الربيع –
أكليم- تكتيم- مرات تكنوستي- تركديت –أكليم-أوجكال- أسلتا	Xérophytes épineux	21740	فصل الصيف
المجموع		123.850	

المصدر: عزيز لبيهي 2015

الشكل رقم 1: سبة الاراضي الرعوية لكل وحدة قبلية من مجموع مجال امغران

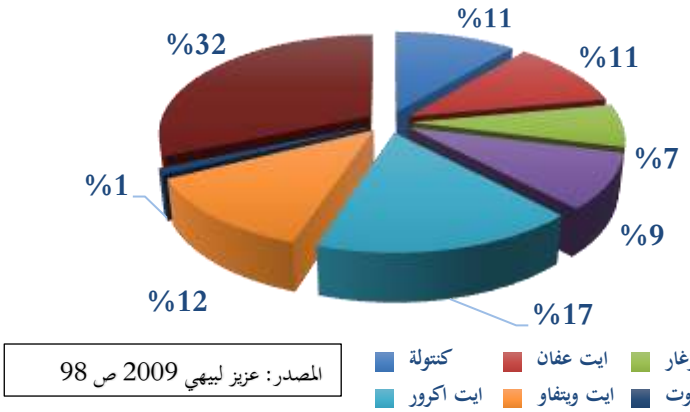

ينعكس عن الاختلاف في المواقع التي تمتد عليها الوحدات البشرية المكونة لقبائل امغران، والتفاوت فيما بينها في حجم المساحة الرعوية التي تتوفر عليها كل وحدة بشرية على حجم الموارد الرعوية التي تستغلها وتستفيد منها كل وحدة بشرية ضمن الامتداد العام للمجال الجغرافي لـ امغران. وهذه الوضعية التي تتار معها

مسألة التمايز والتفاوت على مستوى توزيع حقوق استغلال المراعي (الجدول رقم 2 والمبيان1)، تطرح من جهة اخرى مسألة التكامل في استغلال الموارد والحفاظ على التوازن الإيكولوجي للأراضي بالمراعي.

نجد على سبيل المثال أراضي التي تتملكها أيت عفان، تنحصر في وسط الجبلي على السفوح الجنوبية للأطلس الكبير الأوسط شمال مجال الدراسة، لكن الرعاة المنتمون لهذه الوحدة يتنقلون للرعي في المراعي الموجودة على منخفض وارزازات في الجنوب. وهذا يدخل في إطار التوافق القائم على استغلال المراعي بين آيت عفان وآيت ويتفاو وآيت أكرور، الذي يسمح لايت عفان بالرعي بالمراعي التابعة لايت ويتفاو وايت زكري الموجودة بمنخفض وارزازات، بحيث لا يسمح لرعاة آيت عفان أن تتعدى هذا المجال نحو المراعي التابعة للوحدتين (آيت ويتفاو وآيت زكري) الممتدة على السفوح الشمالية لسلسة صاغروا.

نفس الحالة نجدها، فيما يتعلق بالتوافق على تبادل حقوق الرعي بين آيت ويتفاو وازغار وكنتولة وتندوت من جهة، وآيت تومرت وآيت زكري من جهة تانية، في حين تستثنى من هذه الوضعية الوحدة البشرية إكرنان التي ليس لها توافق حول تبادل حقوق الرعي مع أي من الإثنيات القبلية الأخرى.

4- الأكدال محمية تقليدية للمحافظة على التوازنات الايكولوجية للمراعي

4-1- الأكدال كمحمية طبيعية تقليدية

تطلق كلمة أكَدال "Agdal" على المجالات الرعوية الجماعية، التي لا يكون استغلالها وحق الولوج إليها حتى بالنسبة إلى من لهم حق تملك أراضيه بشكل جماعي، مفتوحا على مدار السنة. بل هي مجالات يخضع استغلالها والاستفادة من مواردها لقواعد قانونية عرفية، يتم استنادا إليها تحديد المجال المعني بتطبيق نظام أكدال ولمن ترجع حقوق ملكيته الجماعية وما هي الوحدات البشرية التي لها الحق في استغلاله والانتفاع من موارده وما هي الفترة المحددة لذلك.

نجد تسمية أكدال شائعة في الأطلس الكبير والمتوسط، وهو يعتبر مجال جغرافي راعوي يخضع لنظام الحماية الإيكولوجية، له حدود جغرافية محددة وفترة زمنية مضبوطة لاستعماله في الرعي، وفق تواريخ مضبوطة

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

-سواء عند الافتتاح أو عند الإغلاق، وتوكل مهمة تحديدها إلى مؤسسة "اجماعة" (Bourboouze .A. 1997; 63-72)†

يسمح نظام أكدال، باعتباره نوع من التدبير التقليدي الذي يحتكم إلى العرف بتجدد الدورة الإحيائية للمراعي، حيث يمنع بشكل دوري استغلال الأراضي الرعوية المحمية خلال الفترة الربيعية التي ينمو خلالها العشب ويتجدد الغطاء النباتي الرعوي عبر الإزهار والإثمار (Ait Hamza M. 2012 ; 187- 207). ويعد هذا النظام بآلياته القانونية والمؤسساتية والتقنية والاجتماعية والثقافية، أكثر تكيفا مع ظروف البيئة الجبلية التي تعرف تساقط الثلوج خلال فترة معينة من السنة، بل يتقدم موروثا ثقافيا خاصا، داخل ثقافة الأرياف الجبلية المغربية (Ramou H. 2012 ; 469- 448)

يضم مجال أمغران إحدى عشر محمية تقليدية "أكدال"، تقع كلها في القسم الشمالي من مجال الدراسة كما توضح ذلك الخريطة (رقم 4)، تخضع المحميات الرعوية التقليدية التي تمثلها "اكذلان" بمرتفعات الأطلس الكبير الأوسط لتدبير جماعي يحتكم للتشريعات العرفية التي وضعها الأهالي لتنظيم استعمال أجزاء محددة من المراعي الموجودة بالمرتفعات على السفوح الجنوبية للأطلس الكبير الأوسط.

تبرز أهمية نظام أكدال وحضوره القوي في تدبير النشاط الرعوي بمجال امغران، بمداومة القواعد التقليدية في تسيير المراعي، ودورها الهام في مقاومة الأزمات الطبيعية (الجفاف والصقيع)، رغم المنافسة الشديدة التي يوجهها هذا النظام بعد أن أصبحت المجالات الرعوية تخضع في مراقبها وتنظيمها لإدارة الترابية الحديثة المنظمة للتراب المغربي.

ترتبط بالمنظومة التقليدية التي يمثلها نظام أكدال، ممارسة رعوية لها شروط خاصة من أجل حماية المراعي خلال فترات زمنية محدودة. يتم خلالها حبس استغلال مراعي معينة في فترة زمنية معينة غالبا ما تكون خلال فصل الربيع. يطبق هذا الشكل من الحماية والمحافظة الإيكولوجية، على أجزاء مهمة من المساحة الرعوية الممتدة بالجزء الشمالي من مجال امغران، لكن تطبيق هذا النظام يعرف بعض الاختلاف من حيث الفترة الزمنية التي يطبق فيها ما بين المراعي التي يطبعها الانبساط والمراعي الجبلية التي تتميز بسطح

† "اجماعة": هي مؤسسة محلية ذات حضور قوي وحقيقي، يتم تحديد أعضائها بشكل دقيق، ونفس الشيء بالنسبة لتحديد ورسم مجالات اشتغالها. وتعتبر سلطتها على الحياة الجماعية ذات أهمية بالغة في المراقبة والحد من تجاوزات الأفراد، خاصة في ظل محدودية الموارد المتاحة للاستغلال (**Ait Hamza** (**M**., **2002; 20**. ويمكن تحديد هذه المؤسسة من خلال ثلاثة مستويات: الدوار، الفخذة، القبيلة.

متقطع‡ . وقد تغيرت أساليب تطبيق هذا النظام نتيجة الدينامية التي تعرفها هذه المجالات، حيث أصبحت ممارسته تقتصر بالخصوص على المراعي الجبلية للمجموعات القبلية لايت زكري، كنتولة، أيت زغار، ايت عفان، إكرنان.

4-2- أساليب تطبيق ممارسة أكدال والهياكل المنظمة لها:

تتخذ ممارسة نظام المحميات التقليدية اكدال عند قبائل امغران أساليب مختلفة تبعا لمستويات تنظيم المجال، حيث نميز مجاليا بين أكدال الدوار، وأكدال المراعي أو ما يصطلح عليه عند قبائل مغران "اكدال لخلا"، والنوعان معا يشكلان نموذجا حيا للتكافل بين البيئة الطبيعية والبيئة البشرية (الاقتصادية والاجتماعية والثقافية)، السائد بين القبائل فيما يخص حماية الأراضي والمحافظة على خصائصها الايكولوجية.

- **أكدال الدوار:** يتم تسير وتدبير هذا النظام على مستوى الدوار، ويهم الأراضي الزراعية، السواقي، والاحتطاب، والرعي الذي يقوم على الحركات اليومية بالقرب من المجالات الزراعية، ويقتصر فقط على الإثنية القبلية لايت زغار وإكرنان، ولا تعتمده الوحدات البشرية لباقي الإثنيات الأخرى. يتم تدبير هذا النوع من أكدال من طرف "اجماعة" الدوار التي تضم أعيان القبيلة الممثلين للأهالي، يجتمع الأعيان على مستوى الدوار فيتم تحديد المجال المعني بتطبيق اكدال وتحدد مدة تطبيقه، لينتقلوا إلى مرحلة ثانية حيث يتم اختيار 2 الى 3 أشخاص من بينهم يتم اختيار شيخ أكدال.
- **أكدال مراعي الخلاء "الخلا":** تطبيق هذا النظام يعني الوحدة البشرية العرقية بكاملها، ويكون مفتوحا أمام جميع الرعاة سواء بالنسبة للرعاة الذين ينتمون إلى نفس القبيلة التي يوجد ضمن أراضيها الرعوية "الاكدال" ولها حق امتلاك أراضيه، أو ينتمون الى القبائل الأخرى التي لها حق الانتفاع من الاكدال ولكن لا تمتلك حقوق امتلاك أراضيه. يتم تحديد أكدال المراعي من طرف مؤسسة "اجماعة" التي تضم ممثلين عن الرعاة الرحل. تعقد مؤسسة اجماعة اجتماعها ببيت أحد الرحالة يحضره ممثلين للرحل عن كل قبيلة، بالإضافة إلى إمام المسجد الذي يقوم بتوثيق كل ما تم الاتفاق عليه، فيما يتعلق بتحديد مجال أكدال وفترة فتحه وإغلاقه، ومن هم الأشخاص الذي سيسهرون على تسيره

‡ توجد فوارق في الخصائص الطبوغرافية على السفوح الجنوبية للأطلس الكبير الأوسط، بحيث تتميز بعض أجزاء المجال الجبلي بنوع من الانبساط، وهذه الأجزاء يطلق عليها بمنطقة امغران " ازغار نكر" شيخ قبيلة أيت أكرور محمد المنصوري92 سنة- والشيخ ايت ويتفاو 67 سنة وايضا شهادة أحد الرحال 74 سنة وهو نائب رئيس جمعية الرحال لأيت زكري.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

(لجنة تسيير أكدال)، وتحدد العقوبات التي ستطبق على من ارتكب مخالفة في نظام أكدال، وغالبا تكون عبارة عن غرامات مالية.

4-3- يظهر الاختلاف في تطبيق نظام أكدال بالمراعي عند امغران

ترتب عن التباين في توزيع المجالات الرعوية بين الإثنيات القبلية لامغران اختلاف في تطبيق نظام "اكدال"، هذا الاختلاف مرتبط بمحددات التنظيم الزمنية والمجالية لنظام اكدال، يوضحها الجدول على مستوى المجالي الجدول التالي.

جدول 3: توزيع المجالات الرعوية الخاضعة لنظام أكدال

	أكدال	المجوعة المستعملة	المجموعات المستفيدة	التنظيم	
				تاريخ الإغلاق	تاريخ الفتح
أيت تومرت	أوجكال	أيت تومرت	مكونة – أيت زكي	6 مارس	6 يونيو
أمزريت	تيفرضن- تيدمامين	تمازيرت أفلا	فتواكة- إكرنان- أيت أكرور	17 أبريل	10 يونيو
	أنغردة تفسور	تمازيرت أليغ	فتواكة- إكرنان- أيت أكرور	17 مارس	17 ماي
أمزري	تكنوستي	ايت عفان الغربية	ايت عفان الشرقية – ايت زغار	17 مارس	30 يونيو
أسكا	تركديت – تيشكي تنكجات	ايت عفان – تساوت	ايت عفان الغربية – ايت زغار	15 ابريل 15 مارس	15 ماي 17 ابريل

إفران	تكاسة	ايت عفان	– ايت زغار	17 مارس	17 ماي
أسرمو	اوجكال أسدكن	ايت زغار ندرار	مكونة– ايت زغار– ايت وتفاو– أيت تندوت	1 مارس 17 مارس	6 يونيو 17 ماي
تكراكرة	إكيس– لأدرار– أفلاح	ايت وتفاو	مفتوح	1 مارس	1 ماي
تنزر	أكويس	ايتويتفاو	مفتوح	17 مارس	17 ماي
لمتيك	أكليم– أكورد تنكجيت–تركديت	كنتولة	–ايت وتفاو – أيت زكري	1 مارس	15 ماي 30 يونيو
توجكالت	لكور أزكرن مرات	أيت زكري ايت تومرت	– أيت زكري – كنتولة – ايت زغار	يناير 17 مارس 17 مارس	17 مارس 1 ماي 28 ماي

المصدر: CBTHA + عمل الباحث

تتأرجح مقاييس وآليات ممارسة نظام اكدال وتطبيق قواعده المتعلقة بتدبير واستغلال الموارد المجال الرعوي على مستوى القبيلة كما هو الحال على مستوى الدواوير، بين جانبين:

- **الجانب الأول**: يتعلق بالإكراهات المتعلقة بالتطبيق الزمني، هذه الإكراهات ترتبط بالخصائص المناخية للمنطقة، فالتباينات الحرارية السنوية والمجالية، يعد محدد أساسي في توجيه تنظيم ممارسة نظام أكدال وتحقيق الهدف الأساسي من تطبيقه والمتمثل في حماية النباتات، فممارسة أكدال غالبا ما تكون في بداية الربيع الذي يوافق بداية نمو النباتات بعد فصل جليدي (فصل الشتاء) الذي تتوقف فيه الدورة النباتية. وبالتالي فإن ممارسة قاعدة أكدال هي تقنية تعمل على حماية نباتات المراعي في بداية نموها، وتجعل من حبس نشاط الرعي في هذه المجالات خلال فصل الربيع، خاصية تتمكن النباتات خلالها من مد جذورها ونموا سيقانها، بشكل يمكن من إعادة نموها مستقبلا. كما تعد تقنية تبرز جانب من عبقرية الرعاة في التعامل مع الموارد الرعوية.

- **الجانب الثاني**: يرتبط بالمحددات المجالية لتطبيق نظام اكدال، تلك المحددات المجالية لها ارتباط وثيق بموضع المراعي التي يتم فيها تطبيق الاكدال، بحيث تبدأ الممارسة المجالية لأكدال بتحديد الحقوق الرعوية لمن لهم حق الرعي والانتفاع من المجال الرعوي المعني بالاكدال، وبالنظر الى الاختلاف الموجود في نظام الرعي ما بين المراعي بالإضافة الى معطى تبادل حقوق الرعي بين القبائل، فان هذا الاختلاف يطرح الكثير من الإكراهات فيما يتعلق بتحديد أشكال ممارسة أكدال وضمان حقوق الاستغلال.

4-4- نظام أكدال بين التسيير المباشر للساكنة المحلية وتتبع ومراقبة السلطة المحلية

4-4-1- مؤسسات تقليدية تتولى التسيير المباشر لنظام أكدال.

يوجد عرف عام عند قبائل امغران بأن يكون كل مرعى تحت إشراف مؤسسة "اجماعة"، التي هي مؤسسة تضم أعضاء ممثلون عن الرعاة المتنقلون بالماشية، وهذه الفئة من الأشخاص يعدون من ذوي الحنكة والخبرة في شؤون التنقل وأحوال القبائل، ويشترط فيهم الاتسام بالنزاهة والثقة والأمانة، والتجربة في شؤون الرعي والترحال، وتطويق وحل النزاعات والخصومات التي تحدث بشأنها. وهناك اعتبارات أخرى تتدخل في تحديد الطريقة التي يتم بها انتقاء هؤلاء الأفراد كالسن، والمركز الاجتماعي، والانتماء الأسري، وحجم قطيع الماشية وممارسة التنقل واتجاهات التنقل، حيث يتم تعيينهم لمدة محدودة، وينقسم الجهاز البشري المنظم لشؤون أكدال عند قبائل امغران إلى طائفتين:

- **الطائفة الأولى**: تضم ممثلي الرعاة الأعضاء في مؤسسة "اجماعة"، وتنحصر مهمتهم بالأساس في الإشراف على تدبير شؤون أكدال، وتنظيم الحقوق الرعوية التي تترتب عليها لفائدة مختلف الفئات التي تستغل المراعي. إضافة إلى ترتيب وتنظيم حملات التعبئة العامة من أجل ممارسة أكدال وما تتضمنه اتفاقية تنظيمه، بدأ بالإعلان عن فتحه وإغلاقه، والعقوبات المنصوص عليها لزجر المخالفات التي تخل بنظامه، وهي من تشرف على تعيين من يشرفون على مهام حراسة "الاكدال" ومراقبة حدوده وكذا الأشخاص المكلفين بمراقبته، ويتم التداول في كل هذه الأمور والإعلان عنها بالأسواق.
- **الطائفة الثانية**: وتضم أمغار "ن-أكدال" الذي يتم اختياره من بين الأشخاص المشكلين لـ اجماعة. بالإضافة إلى مساعديه 2 إلى 3 أشخاص، ويتم تسخير أفراد هذه الطائفة لمدة محدودة (فترت تطبيق أكدال التي لثلاثة أشهر. ويشترط في تعيين أمغار ن-اوكدال أن يحظى بثقة أعضاء مؤسسة اجماعة، وأن يتوفر على دراية شاملة بالقوانين المعمول بها في نظام الاكدال، وعلى معرفة دقيقة بحدود محميات القبيلة وكل المسالك والطرق التي تخترقها و بأسماء الأماكن والمناطق التي يتوزع عليها الحراس المساعدين

له. مهمته ودوره الإشراف الفعلي والمباشر على ممارسة أكدال وعلى حراسة المراعي، ومراقبة مجالها، وكذلك الإبلاغ عن المخالفات التي قد ترتكب مثل دخول المراعي في فترة إغلاق "أكدال،" من قبل أي كان سواء كان من الرعاة أو من الذين يقومون بالاحتطاب، وتتبعها في المجالات الرعوية بالتناوب، وذلك على أساس إحدى الوحدات المهيكلة للتنظيم الزمنية أو المجالية.

4-4-2- المؤسسات الرسمية والتدبير غير المباشر لنظام أكدال.

استنادا إلى الفصل الأول من ظهير 1919، الذي ينص على أن منفعة الأرضي الجماعية مخصصة للمجموعات العرقية للتصرف فيها حسب الأعراف المحلية وعادات القبائل، لكن تحث وصاية وزارة الداخلية. هذه الوضعية القانونية، توكل حق التصرف في الأراضي الجماعية، التي من ضمنها المراعي للمجموعات العرقية من جهة، وترفع عنها المرجعية القانونية في تقرير تسييرها من جهة تانية.

استنادا الى ذلك فإن أي ممارسة موجهة للسلوكيات داخل المراعي فهي خاضعة لأحكام الإدارة الترابية، على رغم من التدبير المباشر لـ اجماعة التقليدية. وبالتالي تبقى تمثيلية هذه الأخيرة فيما يخص تدبير المراعي صورية فيما يخص المرجعية القانونية وسند أساسي في التنظيم المجالي للمراعي. في مقابل دور الإدارة المحلية، التي تبقى لها المشروعية القانونية في توجيه هياكل التدبير المجالي، كما تبقى القوى التنفيذية الفعلية التي يظهر تأثيرها خصوصا في زجر المخالفات، والمصادقة على الاتفاقيات الخاصة بممارسة قاعدة أكدال، وهذا يظهر من خلال التباين الواضح في غرامات مخالفة نظام أكدال التي تتضاعف في حالة امتناع صاحب المخالفة عن أداء قيمتها لـ اجماعة التقليدية. والبث النهائي فيما يخص الصراعات والمخالفات المخلة بالتنظيم الاقتصادي / المجالي لنظام أكدال بين الإثنيات القبلية.

خاتمة:

كان لنشاط الرعي بالانتجاع في الماضي دور مهم جدا، وقد تمكنت المؤسسات التقليدية الرعوية عند قبائل امغران، بتشريعاتها ودراياتها المحلية لمئات السنين من مواجهة فترات الجفاف والتحكم في حق الانتفاع بالمراعي وتحديد أماكن الرعي واوقاتها ومساراتها بشكل يضمن الحفاظ على تجديد الانساق البيئية. وقد مكن ذلك من نشوء حضارة رعوية بهذه المناطق، متعددة الابعاد والمكونات وغنية من حيث القيم. لكن توالي نوبات الجفاف المتكررة والتحولات السوسيو-ثقافية والاقتصادية التي شهدتها هذه المناطق بعد النصف الثاني من القرن العشرين، قد أدى الى تراجع أهمية نظام الانتجاع اقتصاديا واجتماعيا وبيئيا، وتراجع دور المؤسسات التقليدية والقيادات المحلية الرعوية التي لم تعد قادرة على مواكبة التحولات السريعة.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

ان الحضور القوي لمؤسسات الدولة العصرية وللقوانين الوضعية الحديثة التي تعتبر هيئات وقوانين بديلة للمؤسسات التقليدية وللأعراف المحلية في تدبير المراعي، يعد تحول عميق في تنظيم التنقلات الرعوية واستغلال المجالات الرعوية. كما ان النمو الديمغرافي المتزايد والتطور التقني السريع وارتفاع وثيرة الهجرة، كلها عوامل ساهمت في احداث تغير كبير في تقنيات وأساليب الانتجاع وفي استراتيجيات الوصول الى الموارد الرعوية.

هذه التحولات التي أصبحت واضحة المعالم اليوم، خاصة على مستوى تربية المواشي واستغلال المراعي وفي التوازنات التقليدية بين المجموعات الاجتماعية الرعوية والموارد الطبيعية. أحدثت اخلال كبير بالمنظومة البيئية الحساسة لمنطقة امغران والمناطق الجافة وشبه الجافة عامة. كما ترتب عنها تدهور في وضع الرعاة الصغار وانهيار في الاقتصاد الرعوي القائم على التكامل الايكولوجي الرعوي، الشيء الذي تولد عنه تراجع كبير في عدد الرعاة الرحل وتفككت البنيات التقليدية وتراجعها. لقد فرض هذا الوضع التفكير في الرجوع إلى النظم والتقنيات التقليدية لاستغلال المراعي وتثمين الدرايات المحلية الرعوية، باعتبار الانتجاع الرعوي راسملا رمزيا ووعاء فكريا وحضاريا يحتضن مختلف القيم الثقافية والتنظيمية والاجتماعية والاقتصادية. وقد تم تركيز هذا التوجه في إستراتيجية تنمية المجالات الرعوية، عبر خلق مشاريع تنموية تشاركية، كان من بينها مشروع الترحال والتنوع البيولوجي.

Conclusion:

In the past, transhumant pastoralism played a very important role, and traditional pastoral institutions among the Imagrans tribes, with their regulations and local knowledge accumulated over hundreds of years, have managed to cope with periods of drought, control the rights to pasture use, and determine grazing locations, timings, and routes in a way that ensured the renewal of ecological systems. This enabled the development of a pastoral civilization in these areas, which was multidimensional and rich in values. However, the recurrence of frequent droughts and the socio-cultural and economic transformations in these regions after the second half of the 20th century led to a decline in the transhumance system's economic, social, and environmental importance. Consequently, the role of traditional institutions

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

and local pastoral leadership diminished as they could no longer keep up with rapid changes.

The strong presence of modern state institutions and contemporary laws, which act as alternatives to traditional institutions and local customs in managing pastures, represents a profound shift in the organization of pastoral movements and the exploitation of pastoral lands. Additionally, increasing demographic growth, rapid technological advancement, and rising migration rates have all contributed to significant changes in transhumance techniques and methods, as well as in strategies for accessing pastoral resources.

These transformations, which have become particularly evident today, especially in livestock breeding, pasture utilization, and traditional balances between pastoral social groups and natural resources, have caused significant disruption to the sensitive ecological system of the Imagrans region and to dry and semi-dry areas in general. This has led to a deterioration in the conditions of small-scale herders and the collapse of the pastoral economy based on ecological integration, resulting in a substantial decline in the number of nomadic herders, the disintegration of traditional structures, and their reduction. This situation has necessitated a reconsideration of returning to traditional pasture management systems and valuing local pastoral knowledge, viewing transhumance as symbolic capital and a cultural, intellectual, and civilizational repository that encompasses various cultural, organizational, social, and economic values. This shift has been reflected in the strategy for developing pastoral areas through the creation of participatory development projects, including the Migration and Biodiversity Project.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

- **المراجع:**

1- **محمد أيت حمزة. 1993**: "التوازن الإيكولوجي الواحي بين التنافس والتكامل"، المجال والمجتمع بالواحات المغربية؛ كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة المولى إسماعيل مكناس، سلسلة ندوات رقم 6.

2- محمد أجامع معلمة المغرب الجزء الثالث

3-**عزيز لبيهي ومحمد ازهار محمد 1919**: **التراث الثقافي والبيئي لنمط العيش الرعيوترحالي بالمغراب: حكامة، تدبير وتنمية** / ضمن الكتاب الجماعي تنسيق عبد الحميد مزغاب "**الحكامة الترابية وأدوات تدبير المجال**"، اشغال الندوة الوطنية؛ تكريما للأستاذ زروالي علال 23 نونبر 2019. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- وجدة، سلسلة ندوات ومناظرات (44/2019)، اكسترابرينت-وجدة الطبعة الأولى.

4- **عزيز لبيهي واحمد ايت موسى2017**: **تطور ظاهرة استقرار الرحل وانعكاساتها على بنية الإنتاج واستغلال الموارد المائية بهوامش واحات درعة**/ ضمن مؤلف جماعي، تنسيق عبد الكبير باهني» **الامن المائي وتدبير الموارد المائية بالواحات المغاربية**» ، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي (l'IURS)- الرباط.

5-**عزيز لبيهي 2024**: قيم التنوع البيولوجي من خلال استخدام الأراضي الرعوية بدرعه الأوسط جنوب المغرب، مجلة العلوم التربوية والإنسانية العدد 35 مايو 2024، تصدر عن كلية الامارات للعلوم التربوية والنفسية في الامارات العربية المتحدة
https://jeahs.com/index.php/jeahs/article/view/515/504

6-**عزيز لبيهي 2015**: تطور نظام الترحال بدرعه الأوسط، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- المحمدية جامعة الحسن الثاني- الدار البيضاء المغرب صص 348.

7-**عزيز لبيهي 2009**: تدبير المراعي بالسفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط: حالة مراعي قبائل امغران، بحث لنيل دبلوم الماستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء المغرب.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934
8-**عبد العالي البرغوط 2022**: الانتجاع والتدبير الجماعي للمراعي بالأطلس الكبير- حالة منطقة مسمرير- أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس الرباط -المغرب.

9- أحمد هوزالي: "هسكورة" معلمة المغرب الجزء 23

10-**أحمد بن عبد السلام الساخي 2020**: النظام القانوني الجديد لأملاك الجماعات السلالية، مطبعة المعارف الجديدة -الرباط، الطبعة الأولى.

- **المراجع الأجنبية**

11- Ait hamza.M et autres 2002 : Recueil des Institution locales. Projet de conservation de biodiversité par la transhumance dans le versant sud du haut atlas.

12- Ait hamza. M. 2004 : (Crise de la montagne et forme d'adaptations ¨haut atlas central) pour une nouvelle perception des montagnes Marocaines, espace périphérique ? patrimoine culturelle et naturel ? stock de ressources dans l'avenir. Acte du 7eme colloque maroco-allmand Rabat 2004. Édité par Mohamed ait hamza et Herbert Popp. Université Mohamed V Agdal publication FLSH rabat série colloque et séminaire n 119.

13- AIT HAMZA, M. (2002) : Etude sur les instutions locales. Projet de conservation de la biodiversité dans le versant sud du haut atlas. PNUD/FEM/ORMVA Ouarzazate/CBTAHA (Rapport inédit).

14- EL ALAOUI M 2002 : Rapport sur le statut juridique des terres collectives au Maroc et les institutions coutumières et locales dans la zone du projet de conservation de la biodiversité par la transhumance dans le versant sud du haut atlas. PNUD/FEM/ORMVA Ouarzazate/CBTAHA.

15- LABIHI.Aziz & autres 2024 : du nomadisme, aux formes nouvelles de l'élevage au Draa Moyen/ in des ouvrage collectif Sous- direction A. Ibn El Farouk coordination Ahmed Ait Moussa & autres " Questions, Théories et Méthodologies en Sciences Humaines et Sociales Edition Facultés des

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

Lettres et Sciences Humaines Mohammadia- Maroc Achevé d'imprimer en 2024 Imprimerie signature prints.

16- **Pui Aux Activités D'élaboration Du Plan Intègre Ait Zekri** Projet De Conservation De la Biodiversité Par la Transhumance Dans la Versant Sud du Haut Atlas ATLAS, PNUD/FEM/ORMVA Ouarzazate CBTHA (Document Du Plan Intégré).

17- **Gary Greg et Alison Geist**, **1989** : L'organisation sociale des ait Moghrane, Office Régional de Mise en Valeur Agricole de OUARZAZATE.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

The Role of Transhumance in Protecting the Ecological Balance of Pastures in Morocco: A Case Study of Imagrans' Pastures in the Southern Slope of the High AtlasAziz lABIHI

laboratory : Territoires Environment and Development
Ibn Tafila University - kenitra Maroc
Aziz.labihi@uit.ac.ma

Abstract:

Local knowledge and customs in rural Morocco, particularly among the nomadic tribes in mountainous areas, have formed an effective legal system due to their role in maintaining ecological balances in pastoral ecosystems and ensuring the sustainability of grazing resources in these environmentally fragile regions. This system has been in place for hundreds of years, preserving the ecological balance of pastoral lands in mountainous areas, despite its diminished role today due to the deep environmental and socio-economic changes these regions have experienced in recent decades.

From this perspective, this study addresses the issue of ecological balances in traditional pastoral reserves created by local communities in mountainous areas, a matter directly related to sustainable development. The study questions why the productive systems in these areas, which have proven economical and effective in maintaining ecological balances for centuries, are now less frequently used? To answer this question, the study highlights the role played by the customary legal system in managing pastoral lands and maintaining their ecological balance, using the tribal ecological reserves system "**Agdal**," through a case study of the tribal pastoral reserves of the "**Imghran**" tribes on the southern slopes of the Middle Atlas Mountains in Morocco.

The study set out to achieve this goal based on two hypotheses; the first is that the pastoral system practiced by the "Imghran" tribes, which involves moving livestock, represented a positive technical adaptation to the scarce environmental conditions and the diversity of the ecosystems in the pastoral

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934
areas they exploit. The second hypothesis is that the customary legal system upon which the pastoral system of the "Imghran" tribes is based played a significant role in achieving the balance of the traditional pastoral reserves created by the locals. Still, it is currently less used due to the impact of modern economic and social transformations, climate changes, and technological developments. To analyze these hypotheses, the study relied on a synthetic approach that combines multiple methodologies, consisting of fieldwork through field visits to inspect the pastoral reserves, and conducting interviews with representatives of the locals and various stakeholders involved in managing the tribal pastoral reserves.
key words: Morocco – Grazing – Pastoral lands – Agdal – Pastoral reserves – Sustainable development – Natural resources – Modern transformations.